الحوار بين المسلمين وضرورة الاجتماع

دكتور عطاء الله فيضى الاستاذ لكلية الشرعية والقانون، الجامعة الإسلامية العالمية ، اسلام آباد

Abstract

The research paper strives to justify the importance of dialogue among Muslims in order to eradicate ethnic conflicts and sectarian differences.

The Author justifies that keeping in view all circumstantial evidences it is vital for Muslims to get united and to avoid divergence, difference fragmentation, and intolerance of others.

The Author clarifies that most of the disagreements which lead to disputes are some matters which are not the core principles of Islam, rather they are partial issues.

The researcher comes up with following conclusions:

- The Moslems need more than ever to get united.
- Dialogue is necessary among Muslims for the desired unity.
- Dialogue is a conversation in which two or more parties seek to express their views accurately and listen respectfully to their counterparts in order to reach to a certain result.
- The basic cause of division, schism and fragmentation among Muslims is the absence of dialogue.
- The dialogue is of great importance and a great impact in solving all the problems and calamities faced by Muslims and are the supreme way to control the dissent.

- Arranging useful results on dialogue depends on its adoption in a calm and purposeful manner.

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل المؤمنين إخوة في الدين، وجعل الحوار أسلوبا مرضيا للوصول إلى الحق الذى يرضاه للناس أجمعين، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى الذي تآخى بين المسلمين، وسلك طريق الحوار في دعوته ليسن بذلك منهجا للدعاة إلى يوم الدين....

وبعد، فإن الله عزوجل خلق الكون كله وجعل الإنسان مكرما، قال تعالى:

"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً "[1]ليخلفه في الأرض،قال تعالى:"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ"[2]،وليعبده حق العبادة التي هي الغاية الوحيدة من خلقه، قال تعالى:"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"[3]،ولكي يأتي الإنسان بالعبادة المطلوبة منه ويعش في مجتمع متسم بالسلم والأمان تسوده الوحدة والأخوة،اختار له بفضله دين الإسلام الحنيف،قال تعالى:"إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ"[4]،وقال:"وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ"[5]،فمن اختار هذ الدين واتبع صراط الله المستقيم جعله من خير الأمم بنص القرآن المبين،قال تعالى:"كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ"[6]۔

ولكن مماتتألم له القلوب أن الأمة الإسلامية التي هي خير الأمم على وجه الأرض تمر في الوقت الراهن بأخطر مراحلها المصيرية في التاريخ–من قبل أعدائها و أبنائها عمداً أو جهلاً، تهدد كيانها وثوابتها نتيجة الانقسام الداخلي والتفرقة التي شتتت صفها ومزقت وحدتها، تلك التفرقة والاختلاف الذي أدى إلى حمل السلاح ونشوب الحروب الطاحنة بين المسلمين أنفسهم قضت على خيرات الأمة وممتلكاتها وأحرقت الأخضر واليابس ونست أو تناست أنها مأمورة بوحدة الكلمة وجمع صفها ولم شملها،تستطيع أن تحل مشاكلها بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ،قال عليه الصلاة والسلام:"تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه"[7]،وبإمكانها أن تحل جميع خلافاتها ومشاكلها بالرجوع إلى أحسن منظومة قيمية راسخة تقرب البعيد وتجمع الشتيت وتنمى أواصر المحبة والأخوة، وهي العض والاعتماد على إقامة حوار متعدد الجوانب بين الأطراف المعنية لحل المشاكل للخروج من هذا المأزق الأليم۔

ومن هنا جاءت فكرة تناول هذا الموضوع ضمن مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المبحث الأول:اجتماع المسلمين ضرورة عصرية ومطلب شرعي

المبحث الثاني:ضرورة الحوار بين المسلمين لأجل الاجتماع المنشود

وفيه مطالب:

المطلب الأول:المطلب الأول:مفهوم الحوار وبيان أُسسه

المطلب الثانى:الحوار ضرورة بين المسلمين لأجل الاجتماع المنشود

المطلب الثالث:أحكام الدين منها المؤتلف ومنها المختلف،وبيان مواضع الحوار منها

المطلب الرابع:الانطلاق من الثوابت والضروريات

المطلب الخامس:فتح باب الحوار والرسائل العلمية مع الجماعات المسلحة

أما الخاتمه ففيها أهم النتائج

المبحث الأول:اجتماع المسلمين ضرورة عصرية ومطلب شرعي:

إنما يعانيه المسلمون في الوقت الراهن من ويلات ومشاكل على مختلف الصعد لشبهات واهية وشهوات طافهة يتطلب اجتماع كلمة المسلمين على الحق والتمسك بحبل الله المتين والاجتناب عن التفرق والاختلاف والتشرذم،وعدم تحمل الآخر نتيجة اختلاف الرأي في بعض الأمور والمسائل التي لا تعبتر من الثوابت والأصول في الشرع لما في اجتماع كلمة المسلمين من قوة وعزة وسلام وأمن وأمان وتعاون ونصر من الله وهيبة في قلوب الأعداء۔

ولأن التفرق والتشتت يفتح أبوابا مختلفة من الشر والفساد كالضعف والتخلف والهوان والفشل وإطماع الأعداء في الاعتداء على دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم والتجاوز على أراضيهم وسلب حرياتهم وحرماتهم والنيل من شعائرهم ومقدساتهم۔

وعليه فإن اجتماع المسلمين ووحدتهم ضرورة شرعية عصرية عرفية عقلية لحاجة البشرية إليه، وهو اجتماع أهل الاسلام على الحق والنهي عن التفرق من قواعد الدين الحنيف،قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"وهذا الأصل،وهو الاعتصام بحبل الله جميعا وأن لا يتفرق،هو من أعظم أصول الإسلام ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، ومما عظمت به وصية النبي ﷺفيمواطنعامةوخاصة[8].

والنصوص في ذلك من الكتاب والسنة واضحة وجلية،وهي كثيرة:

أما الكتاب فمنها:

1 قوله تعالى:"وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا"[9]ـ

قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: حبل الله:الجماعة[10]ـ

2 وقال:"وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ"[11]ـ

3 وقال:"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ "[12]ـ

ولا يخفى ما للتآخي من أثر عظيم في وحدة المسلمين وتوادهم وتراحمهم فيما بينهم، وسلامة من التفرق والتشتت والكراهية والاختلاف.

4 وقال: ("شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا"[13]ـ

5 وقال:"وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ"[14]ـ

6 وقال: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"[15]ـ

7 وقال:"إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ" [16]ـ

وأما السنة فمنها:

1 ما ثبت عنه رسول الله ﷺ منقوله:"ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"[17]ـ

2 وقوله ﷺ"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"[18]ـ

3 ما رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال :"إن الله يرضى لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا،وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا،وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم.

قال الإمام النووي في شرح مسلم:"وأما قوله ﷺ:"ولا تفرقوا"وهو أمر بلزوم جماعة المسلمين وتألف بعضهم ببعض،وهذه إحدى قواعد الإسلام"[19]۔

4- وقوله ﷺ:"لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني،والنفس بالنفس،والتارك لدينه المفارق للجماعة"[20]۔

5- وقوله ﷺ:"....فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جمع فاضربوه بالسيف كائناً من كان" وفي رواية:"فاقتلوه"[21]۔

6- وقوله ﷺ:"لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"[22]۔

7- وقوله ﷺ:"لا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا"[23]۔

8- وقوله ﷺ"لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام"[24]۔

المبحث الثاني:ضرورة الحوار بين المسلمين لأجل الاجتماع المنشود:

المطلب الأول:مفهوم الحوار وبيان أُسسه:

الحوار لغة:مصدر من حاور كالمحاورة، قال ابن منظور:"والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة،وحور:الرجوع عن الشيء والى الشيء،يقال:حار الى الشيء وعنه حورا ومحارا ومحارة،رجع عنه وإليه والمحاورة المجاوبة،والحوار التجاوب"۔

قال ابن فارس: الحاء والواو والراء ثلاثة أصول:أحدها اللون،والآخر الرجوع،والثالث أن يدور الشيء دوراً،أما الأول: فالحور شدة بياض العين في شدة سوادها،وأما الثاني:فيقال:حار،إذا رجع،قال تعالى:"إنه ظن أن لن يحور"[25]، والعرب تقول:"الباطل في حور" أي رجع ونقص وكل نقص ورجوع حور،والحور:مصدر حار حوراً رجع،ويقال:"نعوذ بالله من الحور بعد الكور"،وهو النقصان بعد الزيادة،وأما الأصل الثالث المحور:الخشبة التي تدور فيها المحالة،ومماشذ عن الباب حوار الناقة وهو ولدها[26]۔

الحوار اصطلاحاً: إن الحوار في الاصطلاح وإن عرف بتعريفات متعددة وبعبارات مختلفة ولكن تدور جميعها حول معنى المراجعة والتجاوب والخطاب [27]وتتفق على أنه مراجعة الحديث بين شخصين فأكثر بهدف الوصول إلى نتيجة معينة [28]۔

فقد جعله الجرجاني في التعريفات: المجادلة والمخاصمة،حيث قال:"هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أويقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة"[29]ـ

وعرفه د.عبد الستار الهيتي بأنه:"أسلوب يجري بين طرفين، يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقنع به الطرف الآخر في منطقه وفكره قاصداً بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره"[30]ـ

هذا، وقد عرف بعض العلماء كالدكتور يوسف الحسن الحوار بتعريف خاص يشمل الحوار بين الديانتين : الإسلامية والنصرانية[31]،والأولى ما ذكرناه.

أسس الحوار:

الحوار هو عملية تباد ل الآراء بين المحاورين فأكثر بغية بيان رأي معين قد يتقبله الآخر أو يرفضه، فإن ارتضاه فيكون حواراً قصيراً، وان خالفه فيمكن أن يستمر الحوار لكي يقنع الطرفُ الأول الطرفَ الثاني،وقد لا يقتنع هذا الطرف، وعندئذ يبقى الخلاف قائما مما يؤدى إلى تأجيل الحوار إلى وقت آخر[32]ـ

وقد كان ﷺ دائما مبادراً بالحوار ليعلم الناس أمور دينهم ودنياهم، ويوضح لهم ما أشكل عليهم من مواقف وقضايا، كما كان حريصاً كل الحرص على استخدام أصول الحوار المفيد مع أصحابه رضى الله تعالى عنهم في تعليم أمور دينهم ودنياهم وكان حواره يتمثل في سؤال يوجهه إليهم أو خطاب أو نداء أو .....

ولكي يكون الحوار مرتقيا نحو الغايات السامية والأهداف المرجوة منه يجب أن يكون مبنيا على أصول في الشرع، مدعمة بالنصوص الجزئية ومستنداً إلى مقاصد الشرع العليا التي راعاها في تشريع الأحكام، ومتكئا على منهجية علمية بعيدة عن الجدلية العقيمة والنوازع الشخصية.

ويمكن تلخيص هذه الأسس والأهداف في الآتي:

1- الوصول إلى النتيجة: ولو استغرق الحوار فترة زمنية طويلة مع عدم الاستعجال بالنتيجة،والأصل في ذلك قوله تعالى مخاطبا نبينا ﷺ،مسلّياً له،يخبره عن نوح عليه السلام،أنه مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله ليلاً ونهاراً، ولم يجد منهم إلا تكذيبا له وإعراضا عنه، قال تعالى:"وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ"[33]،وقوله تعالى:"فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ"[34]ـ

2- نيل المقصد: وذلك بجعل الحق والعدل والإنصاف أساساً وهدفاً لكل حوار بين المسلم والمسلم، والمسلم وغير المسلم، فالمسلم إذا نوقش ووُجِّه بالأدلة الدامغة والبراهين الساطعة اقتنع، ولا يتعامل مع الآخرين بإساءة الظن وسوء النية۔

3۔ التحلي بالأخلاق الإسلامية الحميدة والاحترام المتبادل بين المتحاورين ونبذ العصبية وترك رفع الصوت من المتحاورين بعضهم على بعض۔

4- صحة الدليل المستدل به،سواء كان الدليل نقلياً وهو الأصل،أو عقليايقره الشرع،فصحته شرط لنهوض الاستدلال به۔

5- عرض الفكرة التي تصاحب كل طرف بجلاء ووضوح وبأسلوب هادئ وبنّاء:وهو أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن،والأصل في ذلك قوله تعالى:"ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"[35]۔

6- الموضوعية في الطرح والتدليل المقنع من مظانه والتسليم بالخطأ دون تعصب وعناد۔

7- ظهور الأمانة والتوثيق والدقة في العبارة، وهذا يقتضي أن يعطى الحوار حقه من الاهتمام والحيطة والإلمام بالموضوع الذي يجري فيه الحوار واستيعاب الفكرة التي يهوم حولها[36]۔

المطلب الثانى: الحوارضرورة بين المسلمين لأجل الاجتماع المنشود:

الحوار على تنوع مصطلحاته الدالة على مفهومه ركيزة أساسية من ركائز الإقناع والتفاهم مع الآخر، وأساس متين وقويم للتوصل إلى اجتماع المسلمين المنشود واتحادهم، له تجلياته الواضحة في القرآن والسنة سواء من الجانب النظري كما ورد في قوله عز وجل:"إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"[37]،الذي دل على الإنصاف في الحجاج وليس على الشك۔

أو من الجانب التطبيقي، كما جاء في الكتاب المبين من محاورة الأنبياء لأقوامهم، ولذلك قال ابن القيم:"وقد يقع في وهم كثير من الجهال أن الشريعة لا احتجاج فيها، وأن المرسل بها صلوات الله وسلامه عليه لم يكن يحتج على خصومه ولا يجادلهم، ويظن جهال المنطقيين وفروخ اليونان أن الشريعة خطاب للجمهور ولا احتجاج فيها،وأن الأنبياء دعوا الجمهور بطريق الخطابة والحجج للخواص، وهم أهل البرهان يعنون نفوسهم

ومن سلك طريقتهم، وكل هذا من جهلهم بالشريعة والقرآن؛ فإن القرآن مملوء من الحجج والأدلة والبراهين في مسائل التوحيد وإثبات الصانع والمعاد وإرسال الرسل وحدوث العالم، فلا يذكر المتكلمون وغيرهم دليلاً صحيحاً على ذلك إلا وهو في القرآن بأفصح عبارة وأوضح بيان وأتم معنى وأبعده عن الإيرادات والأسئلة، وقد اعترف بهذا حذاق المتكلمين من المتقدمين والمتأخرين"[38].

ولكي يكون الحوار مؤثرا في الوصول إلى هدف منشود لا بد من أن يراعى فيه مقتضى الحال، تبعاً لحالة الطرف الآخر المحاور او المتلقي للخطاب كما هو الشأن في محاورات الرسول ﷺ.

وحيث إن الحوار يتداول فيه طرفا المحاورة دوري المتكلم والسامع فإن المسؤولية في هذا الأمر تتقاسم مناصفة بين المتكلم والسامع.

والحجة والبرهان مطلوب في الحوار حتى يكون قائما على أساس متين، قال تعالى:"قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"[39]،ولذا كان رسول الله ﷺدائماً يلجأ إلى اعتماد الدليل والبرهان في كل حوار،بل يجعل ذلك على ألسنة الطرف المقابل كما نجد في خطابه للأنصار:"يا معشر الانصار، مقالة بلغتني عنكم وموجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله،وأعداء فألف بين قلوبكم؟، قالوا: بلى، لله ولرسوله المن والفضل، فقال: ألا تجيبوني يا معشر الانصار؟ قالوا:وبماذا نجيبك يا رسول الله؟، لله ولرسوله المن والفضل، قال: أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم ولصدقتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فآسيناك، وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا،تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يا معشر الانصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟، فوالذي نفس مُحَمَّد بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الانصار وأبناء أبناء الانصار، قال: فبكى القوم حتى أخصلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا"[40].
ولأهمية الحوار العظمى في تبليغ دعوة الإسلام على العموم وتأثيره القوي في حل النزاعات والخلافات وجمع كلمة المسلمين والقضاء على خلافاتهم على الخصوص،اهتم به الشرع في القرآن والسنة وعمل به الصحابة والتابعون وتبع التابعين وغيرهم من علماء الأمة عبر التاريخ[41].

ثم إن المتأمل في خطابات الإسلام وتعاليمه المتنوعة ليجد أنها جميعاً،وإن اختلفت أساليبها،تدعم وحدة المسلمين واجتماعهم، فوجوب تحقيق الوحدة بين المسلمين واجتماعهم ثابت بنصوص القرآن والسنة،وحاجة المسلمين إلى الوحدة في الوقت الراهن ضرورية أكثر من أي وقت مضى، وقفاً للقتال الدائر في أجزاء مختلفة من أراضي المسلمين وبلدانهم، وحفظاً للأموال الطائلة التي تصرف في شراء الأسلحة وهم،المسلمون،يعيشون

تحت خط الفقر في معظم البلدان، وهو مقتضى العقل السليم والنظر الصائب الذي يدرك تماماً بأن الأسباب الداعية لسفك الدماء يمكن إزالتها بالحوار الشرعي المفيد البناء۔

المطلب الثالث: أحكام الدين منها المؤتلف ومنها المختلف، وبيان مواضع الحوار منها:

بما أن الحوار في الاسلام وسيلة يتوصل بها إلى غاية حميدة،وهدف نبيل،وهو إيضا ح الحق وإقراره، وإزهاق الباطل وإزالته، فإن تعليمات الإسلام هي المنطلق الأكثر تأثيراً فيما يستهدف من حوار مثمر، ومن بين هذه التعليمات ضرورة تحديد نقاط الاتفاق و حصر نقاط الاختلاف وهو ما يسمى بتحرير محل النزاع۔

وبيان ذلك أن احكام الدين منها ما هي متفق عليها وهي التي تتعلق بالعقائد وأصول العبادات كالإيمان بالله وصفاته والصلاة والصوم والزكاة والحج، ومنها ما هو مختلف فيه كالفروع الفقهية۔

فالأحكام المؤتلفة في الدين محل اتفاق بين الأمة ولم يختلف فيها، فلا تمس فيها حاجة للحوار بخصوصها، قال الشافعي: "فجِمَاع ما أبان الله لخلقه في كتابه مما تَعَبَّدَهم به لما مضى من حكمه جل ثناؤه من وجوه: فمنها ما أبانه لخلقه نصاً، مثل جمل فرائضه في أن عليهم صلاةً وزكاةً وحجاً وصوماً، وأنه حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونصِّ الزنا والخمر، وأكل الميتة والدم، ولحم الخنزير"[42]۔

وأما الأحكام الجزئية الفرعية فهي التي أصبحت محل اختلاف ونزاع بين الأمة أدى أحيانا إلى الانشقاق والتفرق لصفوف المسلمين بسبب الجهل أو العناد أو ....وهي موضع الحوار ومحله۔

وعندئذ، إذ يجب تحديد آلية للاحتكام إليها وقت احتدام الخلاف للفصل بين المتحاورين، ويجب أن يكون هذا محل تسليم بين المتحاورين، وقد هدانا القرآن لذلك حيث جاء فيه:"فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ"[43]،والرد لا يكون إلا بالرجوع إلى العلماء الثقات الأثبات وأصحاب الخبرة والفنون الذين حاظوا الأدوات العلمية التي يكون بها التعامل مع القرآن والسنة والعارفين بأحوال الأمة المدركين بمآلات الأمور والأفعال۔

المطلب الرابع : الانطلاق من الثوابت والضروريات:

إن من أهم أسباب نجاح الحوار أن ينطلق من الثوابت التي لا ينكرها أحد،بل هي محل اتفاق بين جميع المتحاورين،ولنا في قول الله عزوجل فيما أشار إليه من مثال تطبيقي خير دليل على إثبات هذا الأمر،قال تعالى:"قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ، قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ،سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ، قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ،سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ"[44]، وقال تعالى: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ

سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"[45].

كما أن الحوار الإيجابي الناجح السليم يقتضي أن ينطلق من الضروريات التي:"لا بدمنها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة،بل على فساد وتهارج وفوت حياة،وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين"[46]،وهي:حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل لأن المحافظة عليها محل وفاق ليس بين المتحاورين من المسلمين فقط بل بين المسلمين وغيرهم ممن يعتنقون الديانات الأخرى، قال الشاطبي:"فقد اتفقت الأمة،بل سائر الملل،على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس،وهي:الدين،والنفس، والنسل، والمال،والعقل،وعلمها عند الأمة كالضروري،ولم يثبت لنا ذلك بدليل معين،ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها إليه، بل عُلمت ملاءمتها للشريعة بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد"[47].

فلا يختلف أحد،ممن نتفق معه في العقيدة أم نختلف معهم أصلاً،من أصحاب الديانات الأخرى بأن المحافظة على هذه الكليات الخمس لاستمرار الحياة البشرية آمنة مطمئنة مالياً وجسدياً وروحياً أمرٌ يقع موقع الضرورة من حيث إن العالم لا يستقيم إلا بها،فضياعها مهلك له، وموقع له في الفساد والتهارج.

وإذا كان ذلك كذلك فإنه لابد من أن ينطلق الحوار مع الجماعات المسلحة من هذا المبدء العظيم؛ ليلتزم كل طرف وجهة بالمحافظة على هذه الضروريات الخمس،وإن وصل الخلاف بينهم ذروته لأن في المحفاظة عليها تتحق مصالحهم العاجلة والآجلة جميعاً ولا يخفى ذلك على أحد من أولي الألباب.

المطلب الخامس: فتح باب الحوار والرسائل العلمية مع الجماعات المسلحة:

إذا كان الحوار وسيلة ناجعة لتقرير الحقائق وتنوير الناس، وآلية مهمة لتنمية قيم التسامح وبسط التعايش السلمي وبث روح المودة والمحبة والتآخي بين مختلف طبقات المجتمع الإنساني بوجه عام، وبين أفراد المجتمع الإسلامي على وجه خاص،فإنه من الضروري حتماً فتح باب الحوار والرسائل العلمية عبر القنوات المختلفة مع الجماعات المسلحة بما يضمن التعاون والتعاضد بين المتحاورين بغية الوصول إلى حل سلمي لجيمع القضايا العالقة والمسائل المعقدة التي أدت إلى حمل السلاح من قبل الجماعات المسلحة، حتى تتوقف الحروب الطاحنة التي أريقت فيها دماء آلاف الأبرياء من المسلمين، وأهدر فيها أموال طائلة للمسلمين، ثم كيف يُعقل أن يرجع المسلمون إلى حمل السلاح باسم الدين؟ والله سبحانه وتعالى يرشدهم إلى خير أسلوب في حل معضلاتهم ومشاكلهم وهو أسلوب الحوار، قال تعالى: "وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"[48]،والإصلاح لايتم إلا بالعض على أحسن طريقة وهي طريقة اختيار الحوار، تلك الطريقة التي اعتمد عليها حبر الأمة وترجمان القرآن مع الخوارج، فترتب عليها حقن دماء

المسلمين، فقد ثبت عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله:لما خرجت الحرورية اجتمعوا في دارهم وهم ستة آلاف، أتيت علياً، فقلت: يا أمير المؤمنين أبرد بالظهر، لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم،قال:إني أخاف عليك، قلت: كلا، قال ابن عباس: فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن، قال ابن عباس:فأتيتهم وهم مجتمعون في دارهم قائلون، فسلمت عليهم، فقالوا: مرحبا بك يا ابن عباس، فما هذه الحلة؟ قلت:ما تعيبون علي لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل، ونزلت:"قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق"، قالوا: فما جاء بك؟قلت:أتيتكم من عند صحابة النبي صلى الله عليه و سلم من المهاجرين و الأنصار لأبلغكم ما يقولون، المخبرون بما يقولون، فعليهم نزل القرآن وهم أعلم بالوحي منكم وفيهم أنزل، و ليس فيكم منهم أحد، فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشا؛ فإن الله يقول:"بل هم قوم خصمون"،قال ابن عباس:وأتيت قوما قط أشد اجتهادا منهم، مسهمة وجوههم من السهر، كأن أيديهم وركبهم تثني عليهم، فمضى من حضر،فقال بعضهم: لنكلمنه و لننظر ما يقول،قلت:أخبروني ماذا نقمتم على ابن عم رسول الله صلى الله عليه و سلم وصهره و المهاجرين والأنصار؟ قالوا: ثلاثا،قلت:ما هن؟ قالوا:أما إحداهن فإنه حكم الرجال في أمر الله،و قال الله تعالى:"إن الحكم إلا لله" وما للرجال وما للحكم، فقلت:هذه واحدة، قالوا: و أما الأخرى فإنه قاتل و لم يسب و لم يغنم، فلئن كان الذي قاتل كفارا لقد حل سبيهم و غنيمتهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم، قلت:هذه اثنتان فما الثالثة؟ قال: إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قلت:أعندكم سوى هذا؟ قالوا:حسبنا هذا، فقلت لهم: ارأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه صلى الله عليه و سلم ما يرد به قولكم أترضون؟ قالوا: نعم، فقلت: أما قولكم: حكّم الرجال في أمر الله، فأنا أقرأ عليكم ما قد رد حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم في أرنب و نحوها من الصيد، فقال: "يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد و أنتم حرم"إلى قوله:"يحكم به ذوا عدل منكم" فنشدتكم الله أحكم الرجال في أرنب و نحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم و صلاح ذات بينهم؟ وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال، وفي المرأة و زوجها قال الله عز وجل:"إن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله و حكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما"فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة أخرجت عن هذه، قالوا: نعم، قال: و أما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة ثم يستحلون منها ما يستحل من غيرها، فلئن فعلتم لقد كفرتم وهي أمكم، ولئن قلتم: ليست أمنا لقد كفرتم فإن الله يقول:"النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه أمهاتهم" فأنتم تدورون بين ضلالتين، أيهما صرتم إليها صرتم إلى ضلالة، فنظر بعضهم إلى بعض، قلت: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، وأما قولكم: محا اسمه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون وأريكم، قد سمعتم أن النبي صلى الله عليه و سلم يوم الحديبية كاتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان بن حرب،فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأمير المؤمنين: اكتب يا علي: هذا ما اصطلح عليه مُحَمَّد رسول الله،فقال المشركون:لا والله ما نعلم أنك رسول الله لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك،

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم:اللهم إنك تعلم أني رسول الله، اكتب يا علي: هذا ما اصطلح عليه مُحَمَّد بن عبد الله، فوالله لرسول الله خير من علي،وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه، قال عبد الله بن عباس: فرجع من القوم ألفان و قتل سائرهم على ضلالة[49].

ثم إن لنا في رسول الله ﷺقدوةحسنة، ذلك النبي الذي حاور كل من عرفهم وقابلهم من الناس،ولو كان من أشد الناس عداوة لهم كاليهود والذين أهدر دمهم كعكرمة بن أبي جهل وكعب ابن زهير، فإذا كان نبي الإسلام لم ينقل عنه بأنه امتنع عن محاورة أحد ولو كان من أعداء الإسلام،أليس لنا ان نخطو خطاه في فتح باب الحوار والاعتمادعليه كركيزة قوية لحل الخلافات مع الجماعات المسلحة.

ثم إنه قد اثبتت الوقائع التي حدثت على مر التاريخ والتجارب أن حل النزاعات العرقية والاختلافات المذهبيةكانفي نهاية المطاف عبر الحوار المفيد البناءولم يكنفيهاأثرملموس ومستمرلاستخدام الأسلحة الفتاكة مثل ماكان للحوار من الأثر القوي في إنهائها، ومن هنا نرى أن معظم الدول التي تواجه مثل هذه المشاكل باتت تدرك أهمية الحوار في حلها فترجع اليها.

الخاتمة:

في نهاية هذا الموضوع المتواضع أقدم لقارئه أهم ما توصلت إليه من النتائج، وهي:

- أن المسملين بحاجة ملحة أكثر من أي وقت مضىلوحدة الصف واجتماع الكلمة في الوقت الراهن.
- أن الحوار ضرورة بين المسلمين لأجل الاجتماع المنشود.
- أن الحوار مصدر من حاور، والمحاورة هي: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة بين شخصين فأكثر للوصول إلى نتيجة معينة.
- أن الانقسام والشقاق والتشرذم الكائن بين المسلمين سببه الرئيس غياب الحوار.
- أن للحوار أهميةكبرى وأثرعظيم في حل جميعالمشاكلوالمصائب التي يواجهها المسلمون فهو السبيل الأسمى لضبط الاختلاف المذموم وتفعيل قيم التعاون والتأليف بين المسلمين.
- أن ترتب النتائج المفيدة على الحوار تتوقف على اعتماده على أسلوب هادئوهادف.
- أنه لابد في تحقيق الهدف المنشود من الحوار الالتزام بعدم استعجال النتيجة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش و المصادر

1 الإسراء:70

2 البقرة:30

3 الذاريات:56

4 آل عمران:19

5 آل عمران:85

6 آل عمران:110

7 رواه مالك في الموطأ بلاغا، كتاب القدر،باب النهي عن القول بالقدر، ج 2،ص899

8 مجموع فتاوى ابن تيمية، ج22،ص359

9 آل عمران:103

10 تفسير ابن جرير،ط:البابى الحلبي،1388هـ،ج4،ص30–31

11 الأنفال:46

12 الحجرات:10

13 الشورى:13

14 المؤمنون:52

15 الأنعام:153

16 الأنعام:159

17 رواه البخاري، كتاب الأدب،باب رحمة الناس والبهائم،ج8،ص12

18 رواه البخاري،كتاب المظالم،باب نصر المظلوم،ج3،ص169

19 ايضاً: ج 12،ص11

20 أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الديات،باب قول الله تعالى:(...أن النفس بالنفس)ج 12،ص201،ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة، باب ما يباح من دم المسلم،ج3،ص1302

21 رواه مسلم في صحيحه،ج12،ص241

22 رواه البخاري، كتاب العلم،باب الإنصات للعلماء، ج1،ص41

23 ايضًا ج 8،ص23

24 ايضًا

25 الانشقاق:14

26 انظر لسان العرب مادة:حور، ج3،ص298،وج4،ص217/تاج العروس، ج11،ص100/معجم مقاييس اللغة، ج 2،ص117

27 مُحَمَّد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح،دار إحياء التراث العربي بيروت،1417هـ،ص106

28 انظر:المفردات في غريب القرآن للراغب،ص262،أصول الحوار وآدابه لصالح بن حميد،ص1،الحوار مفهومه وحكمه وضوابطه للشيخ عبد العزيز،ص6،الحوار القرآني في سورة الأنعام للشرقاوي،ص4

29 التعريفات،ص102

30 الحوار:الذات والآخر،ضمن سلسلة كتاب الأمة،وزارة الاوقاف
قطر،ط1425،1هـ/2004م،العدد99،ص40

31 انظر كتابه:الحوار الإسلامي والمسيحي والتحديات،ط 1997م،أبوظبي،ص13

32 هندسة الحوار،عبد ا لقادر الشيخ علي،مركز الملك عبد العزيز للحوارالوطني،1432هـ،2011م،ص15

33 العنكبوت:14

34 القلم:48

35 النحل:125

36 انظر:أصول الحوار،ص64-89،أنموذج الشابالمسلم في قصة يوسف عليه السلام،د.محمود شاكر سعيد،ص22، آداب الحوار وقواعد الاختلاف، لعمر كامل، ص16

37 سبأ:24

38 مفتاح دار السعادة،ج1،ص145

39 البقرة:111

40 تاريخ الطبري،ج3،ص47

41 انظر نماذج ذلكفي:سورة البقرة:30،سورة الأعراف:59-64،سورة الشعراءالآيات:69-77،صحيح البخارى، حديث رقم :7315،صحيح مسلم، حديث رقم:1148،مسند الإمام أحمد،
ج5،ص256،الخلاف بين العلماء :ص 21

42 الرسالة،ص21،تحقيق أحمد شاكر،ص309

43 النساء:59

44 المؤمنون:84-89

45 آل عمران:64

46 الموافقات،جزء 2،ص8

47 أيضاً،جزء1،ص38

48 الحجرات:9

49 رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين من طريق عكرمةبن عمار العجلي،ج2،ص164،ص494